



شرح الحكم الحدادية

شرح الحكم الحدادية

تأليف الشيخ العلامة

محمد حياة السندي المدني

(ت ١١٦٣هـ)

تحقيق

نزار حمادي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الحكيم الحَكَم، الغني الأَكْرَم، باعث النبي محمد ﷺ بجوامع الكلم وبدائع الحَكَم، وجاعله للناس بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلى الله عليه وعلى آله المطهرين تطهيراً، وصحبه الكرام المنورين بأنوار حِكَمه تنويراً.

وبعد؛ فقد قال الله ﷻ في معرض الامتنان على خلقه: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، والحِكْمَةُ في أدق معانيها وأشملها هي العلم بالأشياء كما هي، والعمل بالأمر على ما ينبغي، فهي منحصرة في القوة العلمية والقوة العملية.

ولا شك أن إرادة الله ﷻ قد تعلقت بإيتاء الحكمة للرسل والأنبياء عامة، وخصوصاً خاتمهم وجامع فضائلهم وحايي مناقبهم سيدنا ونبينا محمد ﷺ، ولذا كان عليه الصلاة والسلام كاملاً في قوته العلمية والعملية، مكتملاً لغيره فيهما؛ قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

ولله در الإمام الفخر الرازي رَحِمَهُ اللهُ القائل في معرض استدلاله على نبوة

سيدنا محمد ﷺ إذ جَلَّى بعض جوانب هذا المقام فقال: «الْكَمَالُ وَالتَّكْمِيلُ إِنَّمَا يُعْتَبَرُ فِي الْقُوَّةِ النَّظَرِيَّةِ وَفِي الْقُوَّةِ الْعَمَلِيَّةِ، وَرَئِيسُ الْكَمَالَاتِ الْمُعْتَبَرَةِ فِي الْقُوَّةِ النَّظَرِيَّةِ مَعْرِفَةُ اللَّهِ تَعَالَى، وَرَئِيسُ الْكَمَالَاتِ الْمُعْتَبَرَةِ فِي الْقُوَّةِ الْعَمَلِيَّةِ طَاعَةُ اللَّهِ تَعَالَى، وَكُلُّ مَنْ كَانَتْ دَرَجَاتُهُ فِي كَمَالَاتِ هَاتَيْنِ الْمَرْتَبَتَيْنِ أَعْلَى كَانَتْ دَرَجَاتُ وَلَايَتِهِ أَكْمَلَ، وَمَنْ كَانَتْ دَرَجَاتُهُ فِي تَكْمِيلِ الْغَيْرِ فِي هَاتَيْنِ الْمَرْتَبَتَيْنِ أَعْلَى كَانَتْ دَرَجَاتُ نُبُوَّتِهِ أَكْمَلَ.

إِذَا عَرِفْتَ هَذَا فَتَقُولُ: إِنَّ عِنْدَ مُقَدِّمِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانَ الْعَالَمُ مَمْلُوءاً مِنَ الْكُفْرِ وَالْفُسْقِ؛ أَمَّا الْيَهُودُ فَكَانُوا فِي الْمَذَاهِبِ الْبَاطِلَةِ فِي التَّشْبِيهِ وَفِي الْإِفْتِرَاءِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَتَحْرِيفِ التَّوْرَةِ قَدْ بَلَغُوا الْغَايَةَ، وَأَمَّا النَّصَارَى فَقَدْ كَانُوا فِي الْقَوْلِ بِالتَّثْلِيثِ وَالْأَبِ وَالابْنِ وَالْحُلُولِ وَالِاتِّحَادِ قَدْ بَلَغُوا الْغَايَةَ، وَأَمَّا الْمَجُوسُ فَقَدْ كَانُوا فِي الْقَوْلِ بِإِثْبَاتِ إِلَهَيْنِ وَوُقُوعِ الْمُحَارَبَةِ بَيْنَهُمَا وَفِي تَحْلِيلِ نِكَاحِ الْأُمّهَاتِ وَالْبَنَاتِ قَدْ بَلَغُوا الْغَايَةَ.

أَمَّا الْعَرَبُ فَقَدْ كَانُوا فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَفِي النَّهْبِ وَالْغَارَةِ قَدْ بَلَغُوا الْغَايَةَ، وَكَانَتِ الدُّنْيَا قَدْ صَارَتْ مَمْلُوءَةً مِنْ هَذِهِ الْأَبَاطِيلِ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَقَامَ يَدْعُو الْخَلْقَ إِلَى الدِّينِ الْحَقِّ انْقَلَبَتِ الدُّنْيَا مِنَ الْبَاطِلِ إِلَى الْحَقِّ، وَمِنَ الْكَذِبِ إِلَى الصِّدْقِ، وَمِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى النُّورِ، وَبَطَلَتْ هَذِهِ الْكُفْرِيَّاتُ وَزَالَتْ هَذِهِ الْجَهَالَاتُ فِي أَكْثَرِ بِلَادِ الْعَالَمِ وَفِي وَسْطِ الْمَعْمُورَةِ، وَانْطَلَقَتِ الْأَلْسِنَةُ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاسْتَنَارَتِ الْعُقُولُ بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَرَجَعَ الْخَلْقُ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا إِلَى حُبِّ الْمَوْلَى بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ^(١).

(١) معالم أصول الدين (ص ١١٧، ١١٨) تحقيق نزار حمادي، ط ١، دار الضياء - الكويت.

وقد تطلق الحكمة أيضا على كُلِّ كلامٍ وافق الحق الواقع الثابت في نفس الأمر، ولعله من معانيها المشار إليه في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]، ولا شك أيضا في اشتمال كلام نبينا محمد ﷺ على أوفر حظ من الحكمة في أقواله وأمثاله التي دعا بها إلى عبادة الله تعالى، ثم اقتبس أصحابه رضوان الله تعالى عليهم وعلماء أمته أنواراً من مشكاة نبوته فصدرت عنهم الحُكْمُ القولية التي يهتدي بها الراغبون في اجتناب الخلل والعطب في جميع جوانب الحياة العلمية والعملية خصوصاً فيما يقرب إلى الله تعالى.

وقد كان من بين أولئك العلماء الأبرار الذين آتاهم الله الحكمة العلمية والعملية والقولية سيدنا الشيخ الإمام قطب الدعوة والإرشاد عبد الله بن علوي الحداد رَحِمَهُ اللهُ عَنَّهُ، فقد اجتمع له مع شرف النسب أشرف العلم، فدعا إلى الله تعالى على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة، بقلبه وحاله ولسانه وقلمه، فصدرت عنه المعارف الموفورة والحكم المنثورة، ومن بينها هاته الحكم التي نقدم لشرحها الذي كتبه الشيخ العلامة المشهور بالصلاح والفضل محمد حياة السندي المدني رَحِمَهُ اللهُ، فقد مزجها بكلمات قَرَّبَتْ إلى العامة معانيها وذللت سبل الاستفادة بمضامينها، وها نحن بفضل الله تعالى وحسن عونه نقدم المتن والشرح لمحبي الحكمة ولكل من يريد العون على سلوك الصراط المستقيم، داعين الله ﷻ أن ينفع بهما جميع المسلمين بفضلله وكرمه إنه هو الرحيم الكريم.

كتبه

نزار حمادي

ترجمة مختصرة للإمام عبد الله الحداد

هو الشيخ الإمام العلامة قطب الإرشاد الحبيب عبد الله بن علوي بن محمد الحداد الشريف الحسيني الشافعي .

كان رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ إمام أهل زمانه ، داعياً إلى الله بقوله وفعله وسرّه وإعلانه ، مناضلاً عن الملة الحنيفية بقلمه ولسانه .

ولد رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ بإحدى ضواحي مدينة «تريم» بحضرموت ليلة الخميس الخامس من صفر عام (١٠٤٤هـ) ، فتربى فيها ونشأ ديناً خيراً مجتهداً في طلب العلوم النافعة ، ولم يكن انكفاف بصره في الرابعة من عمره مانعاً له من النبوغ العلمي ، بل قد عوضه الله ﷻ بصيرة نافذة وقلبا واعيا فعكف على والده والعديد من علماء عصره فحفظ العلوم النافعة وأتقنها .

ولم يزل رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ يعمل بما تعلّم حتى أنطقه الله بالحكمة فانصب يدعو إلى الله ويرشد إلى سبيل طاعته ومرضاته بالحكمة والموعظة الحسنة ، فأقبل عليه الناس وانتشر صيته في البلدان وانتفع به القاصي والداني ، فأرشد الجم الغفير وانتفع به الكثير ، وانتشرت دعوته في كل مكان .

ولم يقتصر رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ على الدعوة إلى الله ﷻ بمفهوم ضيق ، بل كان معنيا بالشأن العام ، يصلح بين القبائل والعشائر ، ويوجه الحكام في أمور الحكم

بالنصائح والمكاتبات، فكان فاعلاً في جميع نواحي الحياة الاجتماعية والدينية، شأنه في ذلك شأن العلماء الربانيين الذين يعملون بما علّمهم الله تعالى وينفعون الناس جميعاً.

ترك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مؤلفات كثيرة أغلبها في مجال الدعوة إلى الله وكيفية السلوك إلى ملك الملوك ﷺ، فجمعت النصائح والمواعظ والحكم، وانتشرت انتشار كبيراً وكتب لها القبول ونفع الله بها كثيراً الناس، حتى إن بعضها قد تُرجم في هذا العصر إلى لغات أجنبية كالإنجليزية والفرنسية.

فمن مؤلفاته وأكثرها مطبوع:

- * النصائح الدينية والوصايا الإيمانية.
- * الدعوة التامة والتذكرة العامة.
- * رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة.
- * الفصول العلمية والأصول الحكمية.
- * سبيل الادكار والاعتبار بما يمر بالإنسان وينقضي له من الأعمار.
- * رسالة المذاكرة.
- * رسالة آداب سلوك المريد.
- * كتاب الحكم (وهو الذي نقدم له ولشرحه).
- * النفائس العلوية في المسائل الصوفية.
- * إتحاف السائل.